

أضواء البيان

@ 312 المذكورين في قوله تعالى : { إِنْ زُلْزِلَ لَذَائِقُونَ } ، أي : العذاب الأليم .
وقوله تعالى : { فَإِنْ زُلْزِلَ مِنْهُمْ يَوْمَ مَئِذٍ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ } ، أنه يفعل
مثله من التعذيب والتنكيل بالمجرمين ، والمجرمون جمع مجرم ، وهو مرتكب الجريمة وهي
الذنب الذي يستحق صاحبه عليه التنكيل الشديد ، ثم بيّن العلاقة لذلك التعذيب ؛ لأنها
هي امتناعهم من كلمة التوحيد التي لا إله إلا الله ، إذا طلب منهم الأنبياء
وأتباعهم أن يقولوا ذلك في دار الدنيا . فلفظة إن في قوله تعالى : { إِنْ زُلْزِلَ مِنْهُمْ
كَانُوا } إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ } ، من حروف
التعليل ؛ كما تقرر في الأصول في مسلك الإيماء والتنبيه . .
وعليه فالمعنى : { كَذَلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ } لأجل أنهم كانوا في دار
الدنيا ، إذا قيل لهم : { لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ } ، أي : يتكبرون
عن قبولها ولا يرضون أن يكونوا أتباعاً للرسل . .
وهذا المعنى الذي دلّت عليه هذه الآية الكريمة ، من كون ذلك هو سبب تعذيبهم بالنار ،
دلّت عليه آيات ؛ كقوله تعالى مبيناً دخولهم النار : { ذَلِكَ بِمَا كَانُوا إِذَا
دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ وَإِنْ يُشْرَكْ بِهِ تُؤْمِنُوا فَالْحُكْمُ
لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ } ، وقوله تعالى في ذكر صفات الكفار وهم أهل النار : {
وَإِذَا ذُكِّرَ اللَّهُ وَحْدَهُ شُكِرْتُمْ أَشْتَدَّ قُلُوبُ السَّادِينَ لَا يُؤْمِنُونَ
بِالْآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِّرَ السَّادِينَ مِنْ دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَكْبِرُونَ } . .
7 ! { وَيَقُولُونَ أَءَنْزَلَنَا لِقَاءَ الْيَهُودِ لِنُشَاقِقَهُمْ مَّجْنُونًا }
. قد قدّمنا الآيات الموضحة له في سورة (الشعراء) ، في الكلام على قوله تعالى : {
وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ } . { لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا
يُنْزَفُونَ } . قد قدّمنا تفسيره مع ذكر الآيات الدالّة على معناه في سورة (المائدة)
، في الكلام على قوله تعالى : { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا * الْخَمْرُ
وَالْمَيْسَرُ وَالْأَنصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ
فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ } ، وبيّنا هنا كلام أهل العلم في نجاسة عين
خمر الدنيا دون خمر الآخرة ، وأن ذلك يشير إلى قوله تعالى : { وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ
شَرَابًا طَهُورًا } .